١ أكثر الأخبار سرورًا: السبب الذي يجعلك تستيقظ في الصباح

ما هي أكثر الأخبار المُسرة التي يمكنك تخيلها؟ ما هوحلم ’’فقط لو...‘‘ الذي يراودك؟ هل هوأن تصبح صاحب ملايين وتشتري منزل أحلامك؟ ربما يكون الوظيفة التي طالما أردتها. ربما أن يصبح شريك حياتك فجأة الشخص الذي تمنيت دائمًا أن يكون عليه، أوأن يتحول ابنك إلى الصواب، ويعيش حياة المسئولية ويتزوج من إنسانة رائعة. ما هي أكثر الأخبار المُسرة بالنسبة لك؟

دعنا نسأل السؤال بطريقة أخرى. ما هوالسبب الذي يجعلك تستيقظ في الصباح؟ ما الذي يحركك ويدفعك طوال اليوم؟ ما هوالأمر الجدير بالعناء الذي ترضى أن تقدم وقتك ومواهبك وطاقتك له؟ ما هوالأمر المهم للغاية الذي تبني حياتك كلها حوله؟

يتناول هذا الكتاب أفضل الأخبار التي يمكن أن يتلقاها أي إنسان. إنه عن شيء مهم للغاية يجعل كل شيء نفعله جديرًا بالعناء، بالرغم من أننا مجرد أناس مليئين بالعيوب في عالم محطم. هذه الأخبار لا علاقة لها بالخيالات أوالأحلام أوالتوقعات غير الواقعية. بل أنها متأصلة في الحقائق التاريخية والوقائع الحالية. فهي تخترق أقسى المواقف الإنسانية برجاء مغيِّر للحياة. إنه الشيء الوحيد الذي يستحق فعلًا العيش لأجله! إنه **هو**الخبر السار!

لكي ”تحصل على“ الأخبار

يجب أن تفهم القصة

لفترة قصيرة من الزمن عندما خلق الله العالم، كان هناك أناس كاملون يسيرون عبر عالم كامل في اتحاد كامل مع الله. كانت البيئة خصبة وثرية، وكان هناك معرضًا لمختلف الحيوانات يسكن الهواء والأرض والبحر. كل احتياج جسدي وروحي

كـان مسددًا بالتمام. لم تكن هناك بطون غير مشبَعة، أوأمـراض يُخشى منها. كانت البساتين خالية من الأعشاب الضارة والأشواك.

عاش الرجل والمرأة، آدم وحـواء، في اتحاد كامل أحدهما مع الآخـر. لم تكن هناك منافسة غير صحية، ولا صراع قوى، ولا انتقام، ولا تبادل اتهامات. لم تكن هناك تخطيطات سرية أوكلمات قاسية، ولا كان هناك خوف أوذنب أوخزي أوتمرد على السلطات. كان هناك تفاهم وتواصل ومحبة.

لم يكن هناك صراع مع الهوية أوالقلق أوالاكتئاب أوالإدمان. لم يكن هناك تاريخ شخصي مؤلم يجب التغلب عليه. لم يكن هناك خوف مما قد يحدث لاحقًا، ولا دوافع مختلطة، ولا صراع مع الرغبة المبالغ فيها. لم يكن هناك إغراء بالخطية.

كان هناك اتحاد كامل أيضًا مع الله. كان البشر يحبون ويعبدون ويطيعون بالطريقة التي خُلقوا لكي يحققوها. في انتعاش النهار كان آدم وحواء يسيران فعليًا مع الله في الجنة، يستمتعان بشركة كاملة مع صانعهما. كانا هما المديرين المقيمين اللذين وضعهما الله لحكم ما صنعه، وكانا يقومان بوظيفتهما حسنًا. لم يكن لدى الله سبب يجعله يواجههما، ولم يكن لديهما شيء يعترفان به. كان كل شيء صحيحًا، يومًا بعد الآخر. كانت الحياة أفضل من أي شيء يمكننا أن نتخيله من موقع مراقبتنا الذي تركت الخطية أثرها عليه.

لكن المحزن هوأن هذا لم يدم طويلًا. ففي أهم فعل تمرد ارتُكب على الإطلاق، خرج الرجل والمرأة عن خطة الله المعينة. وفي لحظة تحطم كل شـيء. وتشوه كل الجمال الرائع الذي للعالم بصورة عميقة ودائمة.

في لحظة، أصبح الخوف والذنب والخزي هي الخبرات البشرية القياسية. والبشر الذين كانوا قبلًا يعيشون في انسجام تام، أصبحوا الآن محل اتهام وخداع ومحاربة للحصول على السيطرة. أصبحت الأعشاب الضارة والمرض هي الاهتمامات اليومية. بدأ البشر يرغبون في ما كان شرًا ويفعلون ما كان خطأ. وبدلًا من أن يخضعوا لسلطان الله، عاشوا وكأنهم هم آلهة أنفسهم. وأصبح العالم الذي كان ينشد قبلًا أنشودة الكمال، يئن تحت وطأة السقوط.

بدلت الخطية كل فكرة ورغبة وقول وفعل. وأنشأت عالمًا من الفكر المزدوج والدوافع المختلطة، من عبادة الذات والاستغراق في الذات. رغب الناس في أن يُخدَموا، لكنهم كانوا يبغضون الخدمة. كانوا يتوقون إلى السيطرة ويغذون أوهام الاكتفاء الذاتي. نسوا خالقهم، لكنهم عبدوا خليقته. وبدلًا من أن يحبوا البشر ويستخدموا الأشياء للتعبير عن هذا، أحب الناس الأشياء واستخدموا البشر للحصول عليها. بل إن الجيل الثاني من البشرية ارتكب القتل. بدأوا يكذبون ويغشون ويختبئون وينكرون. عانى الناس على يدي الآخرين، بدءً من الإهمال اللحظي وحتى أعمال الإيذاء البدني والجنسي التي لا يمكن وصفها. ولأول مرة، بكى الناس من الحزن الذي بداخلهم والمعاناة التي خارجهم.

رأى الله العالم الآن وقد خربته الخطية. لم يـرضَ الله أن يبقى العالم هكذا، ولهذا وضع خطة استغرقت آلاف السنين، وكانت تعني تسخير قوى الطبيعة والتحكم في مسار تاريخ البشر، لكنه استطاع أن يفعل هذا. ومنذ لحظة السقوط، ولجيل بعد جيل، كان الله يتحكم في كل شيء حتى يمكنه في يوم ما أن يصلح ما تلف بصورة مريعة. وإلى هذا العالم، في اللحظة الصحيحة تمامًا، أرسل ابنه الواحد الوحيد.

والآن إلى أكثر الأخبار سرورًا

كان الإعـلان الأوّلـي لهذا الخبر السار مختصرًا جدًا لدرجة أنه يسهل إغفاله. يأتي هذا في بداية الإنجيل بحسب مرقس، مجرد عبارات قليلة في آية صغيرة واحدة. لكنه ملخص مناسب لقصد يسوع من مجيئه.

يسجل مرقس كلمات يسوع هكذا: ”**قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ.**“ (مرقس ١: ١٥). قد نميل إلى الاعتقاد بأن هذه هي فقط طريقة يسوع في تقديم نفسه، لكن إعلانه كان أكثر من هذا. فهويعطينا جميعنا نحن الذين تحملنا وقائع السقوط القاسية السبب الصحيح الوحيد الذي يجعلنا نستيقظ في الصباح. إنه يقدم رجاءً عمليًا بصورة رائعة وشخصيًا بصورة شديدة.

يبدأ الخبر بهذه الكلمات: ”**قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ**“. يقول يسوع: ”هذا هوما كان الله يعمله. كل التاريخ كان يتحرك نحوهذه اللحظة الواحدة.“ لم ينسَ الله البشرية أويفقد اهتمامه

بها. فمنذ ذلك السقوط الأول المروع في الخطية، وهويعمل على توصيل العالم إلى هذا اليوم. ما كان يبدوبلا معنى وخارج السيطرة كان في حقيقة الأمر إعلان قصة الله الرائعة للفداء، والتي وصلت إلى ذروتها مع مجيء المسيح.

فكر في الأمر: كل شيء صالح ورديء يسجله العهد القديم له هدف. كل المعارك والرحلات والتجارب والممالك والإعلانات والمعجزات؛ كل المكائد السياسية والشخصية، كانت جزءً من خطة محكمة لإحضار العالم إلى هذه النقطة. قبل أن تُنطق كلمات مرقس بوقت طويل، كان الله يخبر شعبه بأنه سوف يستعيد ما قد كُسر. لكنهم نادرًا ما فهموا. يبدأ يسوع خدمته بالقول: "هل تفهمون ما يحدث أخيرًا؟ هذا هواليوم الذي تكلم عنه الأنبياء، اليوم الذي يصير فيه الرجاء المعتم واقعًا مشرقًا. لقد كمل الزمان!"

والسؤال هو، "لقد كمل الزمان **لأجل مـاذا؟**" يعلن يسوع اقتراب ملكوت الله. وهي طريقة هادئة يقول بها: "أنا هوملك الملوك، وقد جلبت قوة ملكوتي معي." في موضع آخر يوضح المسيح أن هذا الملكوت ليس حكمًا سياسيًا أرضيًا. فهويقول عنه إنه "**دَاخِلَكُمْ**" (انظر لوقا ١٧: ٢٠-٢١). لم يأتِ حل الله الفدائي بثورة سياسية أوحرب فعلية. فالمعركة الرئيسية يجب خوضها والفوز بها في قلوب البشر.

نحتاج في ثقافتنا المستغرقة في الذات أن نرى عظمة هذا الملكوت. لا يمكننا أن نقلصه إلى حجم احتياجاتنا ورغباتنا. فهويأخذنا إلى ما يتخطى مواقفنا وعلاقاتنا الشخصية. لم يأتِ الملك لكي يجعل أهدافنا أمرًا ممكنًا، بل لكي يجذبنا إلى شيء أبدع وأمجد وأروع مما يمكننا أن نتخيله على الإطلاق. ربما تكون أفضل طريقة لفهم هذه المقاصد الكبيرة هوتجسس الأبدية. في رؤيا ١٩: ٦-٨، يقف جمهور المفديين أمام العرش ويهتفون بصوت مثل المياه الكثيرة قائلين:

"**هَلِّلُويَا!**

فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ،

لأَنَّ عُرْسَ الْحَمَلِ قَدْ جَاءَ،

وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا.

وَأُعْطِيَتْ أَنْ تَلْبَسَ بَزًّا نَقِيًّا بَهِيًّا."

فكر في ما يترنمون به. إنه ليس، "لقد حصلت على وظيفة! كان زواجي رائعًا! كنت محاطًا بأصدقاء عظماء وأولادي أصبحوا صالحين. ليس "لقد هزمت الاكتئاب وتحكمت في مخاوفي." يوجد شيئان يأسران قلوب الحشود المجتمعة. الأول هوأن المسيح قد فاز بالانتصار النهائي. فقد تحققت مشيئته، واكتملت خطته، وهويملك بدون مقاومة إلى الأبد. لقد جمع الله الناس الذين لديهم الرغبة في مجده والعثور على الراحة المطلقة في حكمه. إنهم الناس الذين تبعوه بالإيمان وأطاعوه بتكلفة كبيرة، الذين ضحوا وتألموا، لكن بدون أية شائبة للندم. لقد وجدوا الشبع الدائم في شخص الفادي وسيادته.

والأمر المجيد الثاني هوأن الاحتفال النهائي قد حل أخيرًا، أي عرس الخروف. تخرج صرخة مدوية إذ يدرك الجمهور أنهم لم يُدعوا لعرس فقط – بل إنهم **هم** العروس! فيقفون مرتدين أفضل الثياب. لقد اختفت كل جراح الخطية وآثارها، وأصبحوا طاهرين أخيرًا وإلى الأبد. ها هم يقفون أمام العريس، أنقياء ومقدسين.

وإذ نصغي إلى الأبدية، ندرك أن الملكوت يتعلق بالله الذي يغير الناس بصورة جذرية، لكن ليس بالمعنى المستغرق في الذات الذي تزعمه ثقافتنا. فقد جاء المسيح لكي يكسر ولاءنا لمثل هذه الأهداف الضامرة ويدعونا إلى الهدف الواحد الجدير بالعيش لأجله. إن ملكوته يتعلق بإعلان مجده والبشر المقدسين. هذا هوالتغيير الذي جاء وعاش ومات وقام ليحدثه. هذ هي الحياة والعمل اللذين يقدمهما لنا في مقابل الأمجاد المؤقتة التي كان يمكن أن نسعى وراءها خلاف هذا. إن أهداف هذا الملكوت يُقصد منها أن تتحكم في قلوبنا وتحول حياتنا.

لاحظ أن المسيح يربط الخبر السار بالدعوة إلى التوبة. يُعرِّف الكتاب المقدّس التوبة على أنها تغيير جذري في القلب يؤدي إلى تغيير جذري في اتجاه حياة الشخص. ولا تكون ممكنة إلا إذا كانت هناك قوة للتغيير. يا له من أمر قاسٍ أن تتم دعوة أناس شلتهم الخطية لكي يتوبوا بدون أن تقدم لهم القوة لفعل هذا! هذه هي النقطة

التي تصير فيها الرسالة مثيرة. يقول يسوع: "بما أنني أتيت، فقد صار **ممكنًا** للتغيير القلبي الدائم أن يحدث." أجل، إن العالم محطم بصورة مروعة، لكن الملك قد جاء، جالبًا معه قوة ومجد ملكوته!

ربما تكون مُمسَكًا من خطية معينة لم تستطع أبدًا أن تهزمها. ربما تكون جزءً من مجتمع يبدومنقسمًا بصورة يائسة. ربما لم يصل زواجك لمستوى خطة الله الصالحة. ربما تسير بتثاقل حول أطلال تاريخك المؤلمة أينما توجهت. ربما تكون متعبًا من النوايا الحسنة التي تتحول للسوء، والوعود المكسورة، والآمال والأحلام المحطمة. إن احتياجنا للتغيير هومن حولنا وبداخلنا.

تؤدي الخطية التي تقبض على قلوبنا إلى جعل كل شيء أصعب. فهي تحول المحبة إلى شهوة أنانية. وتأخذ الأمان الذي عينه الله للبيت وتجعله مكانًا يمكن أن تحدث فيه أعمق الأضرار البشرية. إنها تفسد مكان العمل، وتسلب الحكومات خيرها، بل وتلطخ أيضًا الكنيسة. وفي النهاية، تؤدي إلى الموت.

لا يمكنك أن تهرب من الخطية لأنها تسكن بداخلك. كل الأشياء التي تتعلمها تصير ملتوية بقوتها. لا يمكنك أن تفوقها ذكاءً أوتشتري حريتك منها. لا يمكنك أن تتحرك للفرار منها. ولهذا يعتبر مجيء الملك هوأكثر الأخبار سرورًا.

إن التغيير ممكن! يمكنك أن تقف وسط أقسى وقائع الخطية ويكون لك رجاء لا يخزيك أبدًا (رومية ٥: ١-٥). يمكن لهذا الزواج أن يتغير. يمكن لهذه الصداقة أن تتغير. يمكن لهذا المراهق أن يتغير. يمكن لهذه الكنيسة أن تتغير. يمكن لهذا الإكراه أن ينكسر. يمكن لهذا الخوف أن يُهزم. يمكن لهذا القلب الحجري أن يرق، وتخرج الكلمات الحلوة من اللسان الذي كان قبلًا لاذعًا. يمكن أن تخرج الخدمة المُحبة من شخص كان قبلًا مستغرقًا في ذاته بالتمام. يمكن أن يمتلك الناس السلطة بدون أن يفسدوا. يمكن أن تكون البيوت أماكن للسلامة والمحبة والشفاء. إن التغيير ممكن لأن الملك قد جاء!

في كل هذا، فإن هدف الله المطلق هومجده. لقد جاء المسيح لكي يرد الناس إلى القصد الذي خُلقوا لأجله، وهوأن يعيشوا كل جانب من حياتهم في خضوع

عابد وطائع له. وهويتمم هذا من خلال نفخ الحياة في القلوب المائتة حتى يمكننا أن نفهم احتياجنا له. إنه يحيا بلا خطية، ويحفظ الناموس نيابة عنا. ويبذل حياته كعقاب على الخطية، حتى يمكننا نحن أن ننال الغفران الكامل. وهويتبنانا في عائلته، معطيًا إيانا كل الحقوق والامتيازات التي لأولاده. ويغيّرنا يوميًا إلى صورته. ويمكّننا بنعمته أن نفعل ما هوصواب. وروحه يسكن بداخلنا، ويبكتنا على الخطية، وينير الحق، ويمنحنا القدرة على الطاعة. وهويضعنا في جسد المسيح حيث يمكننا أن نتعلم وننمو، ويسود على كل حدث لمجده ولخيرنا، ويجعلنا أهداف محبته الأبدية الفدائية.

يسمي الكتاب المقدّس هذا التغيير **الفداء**. فنحن لا نتغير فقط، بل نُرَدّ إلى الله. وهذا هوما يجعل كل تغيير آخر ممكنًا.

يجب أن تكون أخبارنا هي الخبر السار

عندما كلف يسوع تلاميذه أن يخدموا باسمه، كانت هذه هي الرسالة التي أخبرهم أن يعلنوها. بينما نواجه صراعاتنا الخاصة مع الخطية ونخدم الناس الذين يبدون محاصرين بأشياء لا يمكنهم التغلب عليها، يجب أن تكون هذه هي رسالتنا نحن أيضًا. يجب أن نعلن بأمانة أن "الرجاء لا يوجد إلا في يسوع المسيح، ملك الملوك. فيه يكون التغيير القلبي الشخصي الدائم ممكنًا." أية رسالة خلاف هذا تشجع على الرجاء الكاذب.

غالبًا ما يريد من يصارعون مع الحياة في عالم ساقط تفسيرات عندما يكون ما يحتاجونه حقًا هوالتخيل. فهم يريدون استراتيجيات وتقنيات ومبادئ، لأنهم ببساطة يريدون أن تكون الأشياء أفضل. لكن الله يقدم ما هوأكثر بكثير من هذا. يحتاج الناس أن ينظروا إلى عائلاتهم وجيرانهم وأصدقائهم ومدنهم ووظائفهم وتاريخهم وكنائسهم ويروا الملكوت. إنهم يحتاجون إلى التخيل – أي القدرة على رؤية ما هوحقيقي لكنه غير منظور. وهذا هوما يثبت بولس نظره عليه (كورنثوس الثانية ٤). إنهم يحتاجون إلى أن ينظروا إلى مدينة ما ويرون الصحبة المجيدة للمفديين وهم يجتمعون، وسط المعركة الروحية الوحشية، لكي يحيوا في اتحاد مع الله. إنهم يحتاجون إلى أن ينظروا إلى أولادهم ويرون فاديًا يطلب قلوبهم لنفسه. يحتاجون إلى أن يلقوا نظرة سريعة على التاريخ ويروا الله يتمم مقاصده. يحتاج الناس أن يروا

الرجاء المشرق للوجود البشري: يمكن للناس أن يعرفوا الله ويحبوه ويخدموه. يمكنهم أن يكونوا في شركة معه إلى الأبد ويكوّنوا مجتمع محبة لا يمكن أن يوجد بأية طريقة أخرى. كل هذا ممكن لأن الملك قد وضع محبته ونعمته عليهم.

توجد لدينا كخطاة طبيعة تميل إلى الابتعاد عن الخالق لخدمة الخليقة. فنحن نتحول من الرجاء في شخص الله إلى الرجاء في الأنظمة أوالأفكار أوالناس أوالممتلكات. يحدق الرجاء الحقيقي في وجوهنا، لكننا لا نراه. وبدلًا من هذا ننقب في كومة الأفكار البشرية لكي نستخلص كِسرة ضئيلة من البصيرة. ونقول لأنفسنا إننا قد وجدنا أخيرًا المفتاح، ذلك الشيء الذي سوف يحدث اختلافًا. ونتصرف بناء على هذه البصيرة ونعتنق وهم التغيير الشخصي الدائم. لكن لا يمر وقت طويل حتى تعود خيبة الأمل. لقد كان التغيير وقتيًا وتجميليًا، وفشل في اختراق قلب المشكلة. ولهذا نعود إلى كومة الأفكار البشرية مرة أخرى، عازمين هذه المرة على أن ننقب في المكان الصحيح. وجدتها! نجد كسرة أخرى من البصيرة، تبدوأعمق من سابقتها. فنأخذها للبيت وندرسها ونمارسها عمليًا. لكن دائمًا ينتهي بنا الحال في نفس المكان.

يواجهنا الخبر السار بحقيقة أن المساعدة التي تغيّر القلب لن توجد أبدًا في كومة الأفكار. بل سوف توجد فقط في الإنسان يسوع المسيح. يجب ألا نقدم للناس **نظامًا** للفداء، أومجموعة من الآراء والمبادئ. بل يجب أن نقدم للناس **فاديًا**. فبقوته نجد ما نحتاجه من الرجاء والمعونة لكي نهزم أقوى الأعداء. يكمن الرجاء في نعمة الفادي، التي هي الوسيلة الحقيقية الوحيدة للتغيير الدائم.

وهذا هوما يفصل المؤمنين عن علم النفس الحديث الذي في ثقافتنا. وبما أنه في أصوله قد أدار ظهره للرب، فلا يمكن للعالم أن يقدم للناس سوى نوع ما من النظام. إنه يقلص الرجاء إلى مجموعة من الملاحظات، أومجموعة من الآراء، أوالخطوات في عملية ما. لكننا، على الجانب الآخر، نقابل الناس وهم ينقبون في يأس ونسألهم بمحبة عن معاولهم. ونبعدهم بلطف عن كومة الأفكار البشرية، ونوجههم بفرح إلى الإنسان يسوع المسيح. هذا هوجوهر الخدمة الشخصية.

لكن ميلنا لاستبدال الملك بشيء ما، لا يموت بسهولة. فهويرفع رأسه القبيح حتى ونحن نبحث عن الإجابات في الكتاب المقدّس. إننا نتعامل مع الكتاب المقدّس

بعقلية ”أين يمكنني أن أجد آية عن ــــــــ“. وننسى أن الرجاء الوحيد الذي تقدمه المبادئ يعتمد على الشخص يسوع المسيح. وننسى أن الكتاب المقدّس ليس موسوعة، بل إنه قصة خطة الله لإنقاذ البشرية اليائسة والعاجزة. إنه قصة عن أناس أُنقذوا من اكتفائهم الذاتي وحكمتهم ونُقلوا إلى ملكوت يقع فيه يسوع في المركز ويحيا فيه الرجاء الحقيقي.

لا يمكننا أن نعامل الكتاب المقدّس على أنه مجموعة من الآراء العلاجية. فهذا يشوه رسالته ولن يؤدي إلى التغيير الدائم. لوكان هناك نظامًا يستطيع أن يعطينا ما نحتاجه، ما كان يسوع قد جاء أبدًا. لكنه جاء لأنه لم يكن إصلاح الخطأ الذي فينا ممكنًا بأية طريقة أخرى. إنه هوالحل الوحيد، ولذلك يجب ألا نقدم أبدًا رسالة أقل من الخبر السار. إننا لا نقدم للناس نظامًا؛ بل نوجههم إلى الفادي. **إنه هو**الرجاء.

رجائي مبني على شخص

إن كنت تريد أن تساعد شخصًا ما، فإنك بحاجة إلى أن تعرف ما هوالخطأ وكيف يمكن إصلاحه. فإنك تذهب إلى ميكانيكي السيارات لأنه يستطيع أن يحدد لماذا لا تعمل سيارتك جيدًا ويجعلها تدور مرة أخرى. ويجب على أية وجهة نظر موثوق بها بخصوص التغيير الشخصي أن تفعل الأمر نفسه. يجب أن تقوم بالتشخيص الصحيح لما هوخطأ في الناس وما يلزمهم لكي يتغيروا.

وهذا هوما تخطئ فيه ثقافتنا بالكامل. فإن العالم عندما يرفض النظرة الكتابية للناس، فهوبهذا يزيل أي رجاء للإجابة الدقيقة على سؤال ”ما الخطأ؟“. وإذا كان يجيب خطأ على هذا السؤال، فكيف يمكنه أن يقدم الحل الصحيح؟

لماذا يفعل الناس الأشياء التي يفعلونها؟ هل تعتبر مشكلتي في أساسها مشكلة معلومات؟ هل ستقدم لي مجموعة الآراء المنطقية والمبنية على الأبحاث الجيدة الحل؟ أوهل مشكلتي في أساسها مشكلة خبرة؟ هل سيؤدي التعامل مع ماضيّ إلى حل مشكلتي؟ هل مشكلتي في أساسها بيولوجية؟ هل ستؤدي مساعدتي على تحقيق التوازن الكيميائي إلى حل مشكلتي؟ أم أن هناك شيئًا يقع تحت كل هذه الأشياء وهوالخطأ العميق فيّ؟ إن إجابة الكلمة المقدّسة على هذا السؤال الأخير هي ”نعم“ واضحة ومدوية.

توافق الكلمة المقدّسة على أن مشكلتي مشكلة معلومات، في أنني لا أعرف ما أحتاج إلى معرفته. كما تؤكد أيضًا تأثير خبراتنا، وإن كانت تقول إن مشكلتنا الأساسية تسبق خبرتنا وتذهب إلى ما هوأعمق منها. كما يقر الكتاب المقدّس أيضًا بالتفاعل المعقد بين طبيعتينا الجسدية والروحية، لكنه لا يحدد موقع مشكلتنا الأساسية أبدًا في الحالة البيولوجية لنا. بهذه الطريقة يوضع الكتاب المقدّس في مقارنة جذرية مع ثقافتنا.

يقول الكتاب المقدّس إن مشكلتنا الأساسية، أي السبب الأساسي الذي يجعلنا نفعل ما نفعله، هو**الخطية**. ما الذي يقال هنا؟ تعرّف الكلمة المقدّسة الخطية على أنها **حالة** تؤدي إلى **سلوك**. **إننا** كلنا خطاة، وبسبب هذا، فكلنا **نفعل** أشياء خاطئة. ولهذا قلت إن مشكلتنا الأساسية تسبق خبرتنا. يدرك داود هذا جيدًا في مزمور ٥١: ”**هأَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي.**“ (الآية ٥). يقول داود: ”لقد وُلدت بمشكلة أساسية. وقد كانت فيّ قبل خبراتي الأولى بوقت طويل. هناك شيء خطأ في ذاتي الداخلية يؤثر بشكل أساسي على الطريقة التي أمارس بها حياتي كمخلوق بشري.“ هذا الأمر له آثار مدوية. فبما أن الخطية هي طبيعتي كبشر، فلا مفر منها، وتترك علامة على كل شيء أفكر فيه وأقوله وأفعله. فهي تقود اشتياقاتي، ورد فعلي تجاه السلطة، وصنع قراراتي. سوف تبدل قيمي، وتوجه آمالي وأحلامي، وتشكّل كل تفسير أقدمه.

إذا كنت تريد أن تتعامل مع صعوباتك الخاصة أوتساعد الآخرين الذين يريدون أن يتعاملوا مع صعوباتهم، فيجب أن تصحح التفكير الخاطئ. أجل، يجب أن تتعامل مع معاناة الماضي والطرق التي لا يعمل بها الجسد بالصورة الصحيحة، لكنك يجب أن تفعل ما هوأكثر من هذا. يجب أن تساعدهم على أن يغلبوا الخطية التي تشوه كل الخبرات. تأمل في مثالين.

أتت باميلا من بيت تعرضت فيه للإيذاء الشديد. كان أسوأ وقت في يومها هوعندما يعود والدها من عمله. كانت باميلا تحاول أن توجد خارج المنزل أوتختبئ في أمان في غرفتها حتى تبتعد عن طريق الضرر. كانت هذه خبرات مؤثرة بصورة قوية. يجب أن نبكي مع باميلا، ويجب أن نغضب من الأخطاء التي ارتُكبت في حقها. لكننا يجب أن نفعل ما هوأكثر.

عندما تفحص صراعات باميلا الحالية، تدرك أن مشكلتها ليست مجرد خبرتها، بل الكيفية التي تعاملت بها معها. تتسم باميلا بالرغبة الشديدة في السيطرة، ولهذا يصعب العمل معها أومصادقتها. وهي تجادل باستمرار، وتطالب الآخرين دائمًا أن يؤكدوا لها أنها على صواب. وهي مهووسة بما يظنه الناس فيها، الأمر الذي يشكّل كل تفاعلاتها مع الآخرين. شعارها الشخصي هو”ما هي مصلحتي من هذا؟“ وهي تنتقد الآخرين وتدينهم، ونادرًا ما تظن الأفضل في الناس.

لكن عندما تتحدث باميلا معك، ترسم لنفسها صورة الإنسانة التي تعاني بشدة. تتحدث عن الشعور الدائم بالرفض والوحدة. وتندهش من أن الناس يرون أنها تخيفهم. تشعر وكأنه لا يوجد من يحترم رأيها.

ما الذي يحدث مع باميلا؟ هل كل مشكلاتها الحالية نتيجة لماضيها؟ واضح أنها أكثر من هذا. باميلا لا تصارع فقط مع أهوال ماضيها، بل مع الكيفية التي تعاملت بها مع هذه الأهوال. وهذا هوالموضع الذي تقودنا الكلمة المقدّسة إليه دائمًا. إذا كانت الخطية جزءً من طبيعتنا، فسوف نتعامل دائمًا ليس مع ماضينا فقط، بل مع الكيفية التي تشوه بها الخطية الطريقة التي نتناوله بها. لن تأتي المعونة إلا إذا تعاملنا مع ماضينا **وأيضًا** مع خطيتنا. وهذا أمر ضروري لأن **الخطاة يميلون إلى القيام برد فعل خاطئ تجاه الخطية التي تُرتكب في حقهم**.

وهذا هوالسبب في أن الرجاء الوحيد لباميلا (ولنا أيضًا) هوالفادي. لا يمكننا أن نخرج عن طبيعتنا الخاطئة. نحتاج إلى ما هوأكثر من المحبة والتشجيع، والمعلومات والآراء. إننا بحاجة إلى الإنقاذ. أي شيء أقل من هذا لن يعالج ما هوخطأ حقًا فينا.

تأمل في شخص ثانٍ، وهوجاك. كان والد جاك قائدًا نشيطًا في كنيستهم، وكانت والدته مكرسة للخدمة. وقد تربى في بيت مسيحي جميل كانت فيه عبادة الأسرة اختبارًا يوميًا مشتركًا. كان والد جاك يعمل باجتهاد وكان ناجحًا جدًا. كان لوالديه علاقة متينة وكانا يتواصلان بشكل جيد مع أولادهما. كان جاك ملتحقًا بمدرسة مسيحية، واستطاع والداه أن يوفرا مصروفات إرساله إلى جامعة رفيعة. لكن كل هذا لم يكن حسنًا بالنسبة لجاك.

عندما تحدثت مع جاك، كان قد التحق بسلسلة من الوظائف قصيرة المدى وتزوج مرتين. وهوغاضب بصورة واضحة. يشكوجاك من أنه يعيش في عالم من الحمقى الذين ليس لديهم الوقت ليصغوا لشخص يعرف جيدًا ما يفعله. ويقول إنه فقد وظائفه لأن رؤساءه كانوا يخافون من حقيقة أنه كان يعرف عن عملهم أكثر منهم. وهويرى زوجتيه السابقتين على أنهما ضعيفتين عاطفيًا، وغير قادرتين على العيش مع شخص واثق قد نظم حياته بدون ارتباك أوتشويش.

هل حياة جاك الحالية متأثرة بعائلته الأصلية؟ بالطبع! لكن أكرر أن هناك المزيد الذي يجري فيها. إن جاك يصارع في الأساس مع **جاك نفسه**. إن الخطية لا تجعلني أتجاوب خطأ مع المعاناة فحسب، بل تجعلني أتجاوب خطأ مع البركات أيضًا. فالطفل الذكي يغيظ الطفل الغبي. والرياضي يسخر من الطفل ذي القدمين المتعوجتين. هناك شيء خطأ للغاية بداخلنا لدرجة أننا لا يمكننا حتى أن نتناول البركات بالصورة الصحيحة.

يحتاج جاك إلى أكثر من مجرد الرأي. إنه يحتاج إلى الإنقاذ من نفسه، ولهذا فهويحتاج فاديًا. وهذا هوالسبب الذي يجعلنا لا نستطيع ببساطة أن نقدم للناس نظامًا أونعطيهم نصيحة حول كيفية التعامل مع ماضيهم. يجب أن نوجههم إلى الفادي القوي والحاضر. إنه **هو**رجاؤنا الوحيد. لقد غلب الخطية نيابة عنا! وهويقدم لنا عن طيب خاطر نعمته المغيرة للقلب والمبدلة للحياة.

ولهذا يكتب بولس بكل وضوح في كولوسي ٢: ٨ فيقول: "**أُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ احَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ.**" إن فلسفة العالم خادعة لأنها لا يمكنها أن تقدم ما تعد به. قد تكون مبحوثة جيدًا ومقدمة بشكل منطقي، لكنها لا تتمركز حول المسيح. وبما أن الخطية (الحالة) هي الخطأ، فلا يمكن أن يوجد الرجاء الحقيقي والمساعدة الحقيقية إلا فيه. أي حل آخر سوف يثبت أنه أجوف.

ما تفعله الخطية بنا

تعتبر الخطية هي المرض المطلق، والخلل العقلي الأكبر. لا يمكنك أن تهرب منها أوتغلبها بمفردك. انظر حولك وسوف ترى أثرها في كل مكان. فالخطية تعقد ما هومعقد بالفعل. إن الحياة في عالم ساقط أكثر مشقة مما قصده الله على الإطلاق، ومع هذا فإن خطيتنا تزيد الأمر سوءً. فنحن نتعامل مع ما هوأكثر بكثير من المعاناة والمرض وخيبة الأمل والموت. إن أعمق مشكلة لدينا لا تتعلق بالخبرة أوالحالة البيولوجية أوالعلاقات؛ بل إنها أخلاقية، وتبدل كل شـيء. إنها تشوه هويتنا، وتغير وجهات نظرنا، وتعطل سلوكنا، وتخطف رجاءنا. علق موسى عند وصفه للثقافة البشرية قبل الطوفان قائلًا: "**وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.**" (تكوين ٦: ٥). هذا هوما تفعله الخطية بنا. إنها المرض المطلق!

كان طفلنا الأول طفلًا نشيطًا بدرجة لا تُصدق. كان يقضي أيامه في جذب زوجتي، لويلا، والتشبث بها وتسلقها، وكأنها لعبة جمنازيوم ضخمة. ثم في سن الثماني شهور ونصف، خطا ذلك الطفل الصغير أولى خطواته. ولم يمض وقت طويل حتى كان يتحرك عبر منزلنا بسرعة مذهلة. أتذكر أنني اعتقدت أنه ربما يكون غير طبيعي. فلم يكن يُفترض به أن يمشي، لكنه كان يمشي!

عندما يبدأ الطفل في المشي، يحتاج إلى الحماية من مجموعة مخاطر منزلية جديدة. وأحد الطرق لحماية طفلك هوأن تنزل على ركبتيك، وتنظر إلى وجهه، وتحذره من بعض المخاطر. وتأخذه عبر المنزل وتشير إلى الأشياء التي يجب تجنبها. يبدو هذا مثل إهدار كبير للوقت في عمره القليل هذا، لكنني فعلت هذا وحذرت ابني الصغير من مخارج الكهرباء في كل غرفة. وقلت له: "لا تلمسها، وإياك أن تلصق أي شيء عليها. فهذا قد يقتلك!" نظر إلي بنظرة تعجب، بينما كان أحد أصابعه يتململ في قميصه والأصبع الآخر يتجه في منتصف الطريق إلى أنفه. سألته إن كان قد فهم ما قلته، فأومأ رأسه الصغير بالإيجاب، وذهب إلى مغامرته الصغيرة التالية. كنت على يقين أنني لم أحقق أي شيء.

بعد هذا ببضع أمسيات، كنت أقرأ في غرفة المعيشة عندما لمحت بطرف عيني طفلي وهويختلس النظر إليّ. نظر إلي نظرة خاطفة ثم نظر إلى الحائط، وإليّ مرة أخرى، مكررًا هذه الدورة عدة مرات. وعندما ظن أنني كنت منشغلًا بما يكفي، اتخذ أقصر مسلك باتجاه مخرج الكهرباء. لكن قبل أن يلمسه أول لمسة مبهجة، فعل شيئًا جعلني أتعجب كثيرًا. توقف ونظر للخلف ليرى إذا كنت أراقبه، ثم مد يده نحوالمخرج وقفزت أنا لأنقذه.

كانت هذه النظرة الأخيرة تبين أنه **بالفعل** فهم محاضرتي التي كانت في حجمه الصغير، وأنه **كان يعرف** أنه يتصرف بما يخالف إرادتي، وأنه كان يحاول أن يخفي تمرده، وأنه كان منجذبًا بشكل لا يمكن تفسيره إلى ما تم تحريمه بوضوح. هناك على الأقل ثلاثة عناصر من العناصر المدمرة للخطية واضحة في هذه الصورة الصغيرة.

أول شيء تنتجه الخطية هو**التمرد**. وهذا أكثر من مجرد كسر بضع قواعد؛ فهوعيب أساسي في شخصيتي. إنه ليس شيئًا أتعلّمه؛ وإنما قد وُلدت به.

لم أكن مضطرًا أن أعلّم ابني الصغير أن يرغب في ما تم تحريمه، وأن يبحث عن الفرصة ليناور السلطة، ويمد يده إلى "الثمرة المحرمة". فأنا نفسي أفعل الشيء ذاته، وأنت كذلك. وسواء اتخذ هذا صورة توقيف السيارة في منطقة يحظر فيها الوقوف، أوالغش في الضريبة على الدخل، أوالهروب من ماما في متجر اللعب، أورفض الخضوع لمشورة أحد المؤمنين الأتقياء، أوالانغماس في شهوة سرية، فإن التمرد موجود في كل واحد منا.

إن التمرد هوالميل الفطري للاستسلام لأكاذيب الاستقلال الذاتي، والاكتفاء الذاتي، والتركيز على الذات. وهويؤدي إلى انتهاك اعتيادي للحدود المعطاة من الله. الاستقلال الذاتي يقول: "لي الحق في أن أفعل ما أريد عندما أريد أن أفعله." والاكتفاء الذاتي يقول: "لديّ كل ما أحتاج إليه في ذاتي، لهذا فإنني لست بحاجة إلى الاعتماد على أي شخص أوالخضوع له." والتركيز على الذات يقول: "أنا هومركز عالمي. يحق لي أن أحيا لأجل ذاتي وأفعل فقط ما يجلب لي السعادة." هذه هي أكاذيب جنة عدن، وهي نفسها الأكاذيب التي ظل إبليس يهمس بها جيلًا بعد جيل في الآذان المستعدة لسماعها. وهي تنكر تكويننا الأساسي كمخلوقات بشرية. إننا لم نُخلق لنكون مستقلين

ذاتيًا. بل صُممنا لنكون في خضوع يومي لله ونحيا لأجل مجده. والحياة خارج هذا التصميم لن تجدي نفعًا أبدًا.

تؤثر روح التمرد هذه على الطريقة التي نتناول بها الصعوبات والبركات. يقودنا الاستقلال والاكتفاء الذاتي والاستغراق في الذات إلى أن نفكر في أنفسنا أولًا ونتسلق الأسوار الواقعة بين أنفسنا وبين رغباتنا. فنحن نريد أن نسيطر على الأمور ونبغض أن تتم السيطرة علينا. نريد أن نصنع القواعد ونغيرها وقتما يناسبنا هذا. نريد في الأساس أن نكون نحن الله، نحكم عالمنا تبعًا لإرادتنا الخاصة. أيًا كان ما نتمرد عليه بخلاف هذا، فإن تمردنا موجه في النهاية إلى الله. إننا نرفض أن نعترف بسلطانه، ونسلبه مجده ونغتصب حقه في السيادة.

كما أن الخطية تنتج فينا أيضًا **الجهالة**. تؤمن الجهالة أنه لا توجد وجهة نظر أورأي أونظرية أو"حق" يمكن الوثوق به أكثر من ذلك الذي لدينا. وهي تصدق أكذوبة أننا نعرف أفضل. وتجعلنا نشوه الواقع ونحيا في عوالم من صنعنا. يكون الأمر وكأننا ننظر إلى الحياة من خلال مرآة الملاهي، مقتنعين أننا نرى بوضوح.

لقد حذرت ابني الصغير من الخطر، لكنه في جهالته ظن أنه يعرف أفضل. تسيطر الجهالة على الإنسان المنفتح على مشورته الخاصة والشخص الذي لا يرى احتياجًا كبيرًا لدراسة كلمة الله. هذه الجهالة تشوه إحساسنا بالهوية، وتدمر العلاقات، وتؤخر النمو، وتعطل التغيير.

إن الجهالة تقنعنا أننا بخير، وأن اختياراتنا المتمردة غير العاقلة صحيحة وهي الأفضل. تعتبر الجهالة رفضًا لطبيعتنا الأساسية كبشر. إننا لم نُخلق أبدًا لنكون نحن مصدر الحكمة لذواتنا. بل قد صُممنا لنكون مستقبلين للإعلان، معتمدين على الحقائق التي يعلمنا الله إياها، ومطبقين لهذه الحقائق على حياتنا. لقد خُلقنا لكي نبني تفسيراتنا واختياراتنا وسلوكنا على حكمته. والحياة خارج مشيئته لا تجدي نفعًا على الإطلاق.

عندما يقول داود في مزمور ١٤: ١: "**قَالَ الْجَاهِلُ فِي قَلْبِهِ: [لَيْسَ إِلَهٌ]**"، فإنه يصل بهذا لأساس الجهالة. إن جهالتنا هي رفض الله، ورغبة فطرية لاستبدال

حكمة الله بحكمتنا الخاصة. وما يكمن تحت هذا كله هوأننا نريد أن نكون آلهة أنفسنا، ونعلن لأنفسنا كل "الحق" الذي نحتاج إليه.

أخيرًا، تجعلنا الخطية **غير قادرين** على فعل ما عينه الله لنا لكي نفعله. يصبغ **عدم القدرة** هذا كل موقف وعلاقة في حياتنا. والأمر ليس مجرد أنني لا أريد أن أفعل مشيئة الله، أوأنني أظن أن طريقتي أفضل، وإنما أنني حتى عندما تكون لي النوايا الصحيحة، لا يمكنني أن أنجح. بل دائمًا ما لا أرقى لمقياس الله.

هل سبق لك أن جهزت نفسك لمحادثة صعبة مع صديق؟ إنك تتمرن على سطورك وتتوقع الإجابات الممكنة من الشخص الآخر. وتحاول أن تحدد أين يمكن أن تفسد المحادثة، وتجهز نفسك لكي لا تقول شيئًا تندم عليه، فأنت لا تريد أن "تخسر الموقف" هذه المرة. لكنك عندما تدخل في المحادثة، يحدث شيء ما في وسطها، إذ يؤذيك الشخص الآخر، وترتفع درجة الحرارة العاطفية، فتهاجمه. وبعد هذا، لا يمكنك أن تصدق ما حدث! لقد فعلت تمامًا ما قررت ألا تفعله!

يصف الرسول بولس بقوة هذا الاختبار في رومية ٧: "**لأَنِّي لَسْتُ أَفْعَلُ الصَّالِحَ الَّذِي أُرِيدُهُ بَلِ الشَّرَّ الَّذِي لَسْتُ أُرِيدُهُ فَإِيَّاهُ أَفْعَلُ.**" ألم تختبر أنت أيضًا هذا الأمر؟ ويواصل بولس كلامه قائلًا: "**إِذًا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلَكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي.**" (الآيات ١٩، ٢١-٢٣). ما يقوله بولس هو: "حتى عندما أرغب في الخضوع لسلطان الله والإصغاء إلى حكمته، ينتهي بي الحال وأنا أفعل ما هوخطأ! إنني أفشل بالرغم من أفضل نواياي!"

لا يقتصر الأمر على أننا متمردون وجهال. بل إن الخطية تجعلنا أيضًا مشلولين أخلاقيًا بالتمام. إننا في الأساس **غير قادرين** على فعل ما هوصواب. من منا يستطيع أن يقول إن غضبنا تجاه أصدقائنا كان دائمًا بالصواب؟ من هوالزوج الذي يمكنه أن يقول أنه أحب زوجته دائمًا كما يحب المسيح الكنيسة؟ من هوالشخص الذي يحب قريبه باستمرار كنفسه؟ إننا نفشل في هذه الأمور حتى عندما نرغب في أن نفعل

الصواب، لأن عضلاتنا الأخلاقية قد ضمرت بفعل الخطية. ونحن ببساطة لا يمكننا أن نفعل الصالح الذي خُلقنا لنفعله. هذه أحد أكثر النتائج مأسوية للمرض المطلق، الذي هوالخطية.

لا يمكننا كبشر أن نجتاز الحياة بمفردنا. فإننا بحاجة إلى الإنقاذ والشفاء والغفران. باختصار، نحن بحاجة إلى الله. نحن بحاجة إلى الخبر السار، أخبار الملك الذي جاء، وجعل التغيير الدائم ممكنًا. هذا وحده هورجاؤنا الشخصي وأساس خدمتنا للآخرين.

إن خبر الملكوت السار ليس هوالتحرر من المشقة والمعاناة والخسارة. بل إنه خبر الفادي السار الذي أتى لينقذني من **ذاتي**. وإنقاذه ينتج التغيير الذي يبدل من الأساس رد فعلي تجاه هذه الوقائع التي لا يمكن الهروب منها. إن الفادي يحول المتمردين إلى تلاميذ، والجهال إلى مستمعين متضعين. إنه يجعل الأعرج يمشي مرة أخرى. فيه يمكننا أن نواجه الحياة ونتجاوب بالإيمان والمحبة والرجاء. وإذ يغيرنا، يسمح لنا أن نكون جزءً مما يفعله في حياة الآخرين. وبينما تتجاوب مع عمل الفادي في حياتك، يمكنك أن تتعلَّم أن تكون **أداة بين يديه**.